الفصل التاسع

أمراض العيون والنظافة العامة

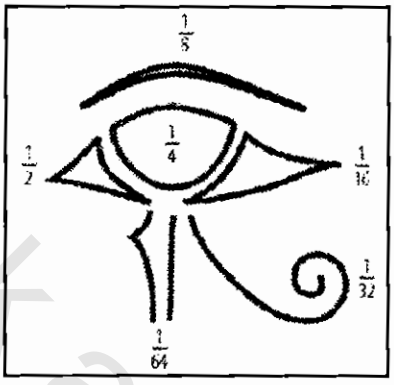

استخدم هذا الرمز، عين حورس لقياس الحجم، فيمثل كل جزء من العين جزءا من ٦٤جزءا التى أحدثت فى عين حورس طبقا للأسطورة المعروفة حين قطع ست عين حورس، ابن أخيه أوزوريس، وتولى تحوت مهمة علاج هذه العين، مما جعل منه حاميا لطبقة أطباء العيون والدقة والمهارة التى ظهرت فى نحت المصرى للتماثيل وكيفية تشكيل العين هما فى الواقع مدعاة لتساؤل هام، هل كان المصرى على دراية بتشريح العين؟

عين حورس

ولكن من المؤكد أن علاج العين يرجع إلى الدولة القديمة، القرن ٣١ ق. م، أما العيون الصناعية، فترجع إلى عهد ما قبل الأسرات.

وتعبر نصوص الأهرامات عن أهمية العين لدى المصرى بهذه الكلمات:

«إن ملجئى هو عينى، وحمايتى هى عينى، وقوتى هى عينى وقدرتى هى عينى».

تمثال للسحر والتبرك

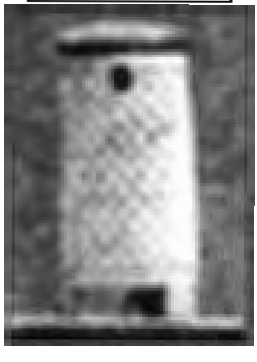

إناء لحفظ الكحل من العاج ويرجع للعصر الثيني

ولكن كلمات بردية إيبرز العلمية والعملية واضحة المعانى، فهى تحدد وجود: «أربعة شرايين داخل الصدغ تمد العينين بالدماء وهى التى تفتح العينين، وإذا سالت الدموع فهى المقلتان اللتان تحدثان هذا....تؤدى فتحتا الأنف إلى تجويف العينين».

وقد ألم المصرى بأهمية النزيف تحت القرنية: «إن العينين حمراواتان مثل العين التى ستفقد البصر».

وكان المصرى بسبب الأتربة والذباب معرضا لإصابات متنوعة فى العين، مما دعا الأطباء إلى إبداع العديد من القطرات التى تستعمل كل منها طبقا للإصابة.

ويبدأ الجزء المخصص من البردية لعلاج العين بهذه الكلمات: «بدء مجموعة أمراض العيون: ماذا يعمل لحدوث القيح فى دم العين؟: سيا صعيدى، عسل، بلسم مكة، صمغ نشادرى». أما لعلاج إفراز العين: «كندر، مر، مغرة صفراء أى أكسيدوز الحديد».

والعثور فى الجبانات على آثار خاصة بأطباء العيون، تؤكد ممارسة هذه الشعبة من الطب منذ حوالى ٤٦٠٠ عام ق. م، فهناك تمثال جنائزى يرجع إلى الأسرة السادسة يمثل طبيب البلاط الملكى، أما اللوحة الجنائزية فترجع إلى عصر بيبى الأول وهى تمثل بابا يحمل هذا النقش: «بيبى عنخ كبير الأطباء الملكى وطبيب عيون الملك، وكبير العلماء والسحرة».

وقد ذكرت هذه اللوحة أن أقدم طبيب عيون يرجع لـ٤٦٠٠ عام ق. م، لذا كان من اليسير على الطبيب إقامة علاقة بين الخلل فى الدورة الدموية والعين بعد أن اكتسب خبرة واسعة فى هذا المجال: «...ينبع من القلب ١٢ شريانا إلى كل الأعضاء، إذا عانت الرقبة وتعذرت الرؤية، فإنها شرايين الرقبة التى أصابها المرض...فهناك ٢ شريان للجبهة، ٢ للعين، ٢ للحواجب».

ولحماية العين بصفة عامة من الأتربة والذباب، كان الطبيب ينصح بأن تدهن بالملكيت «Malachite» أو كربونات النحاس وهى ممارسة ترجع لحضارة البدارى، أو الإثمد، وبخلاف هدفها التجميلى فإن المكونات من كربونات النحاس كانت تبعد وتقى من الحشرات: «سيا من الدلتا، مغرة صفراء، ملكيت وهو الكحل الأخضر، عسل».

وتعتبر هذه الوصفة ضمادة للعين التى تترك للراحة فلا تجهد كثيرا طبقا لتوصيات الطبيب.

وقد كتب بلينى Pliny reports in his Natural History، وهو كاتب ومؤلف فى علوم الطبيعة معاصر لعهد نيرون الرومانى، أن الكادميوم الذى استعمله الطبيب كأحد المكونات العلاجية فى أمراض العيون له مؤثر على الدموع فيجففها ويوقف تدفقها، هو مطهر للأغشية وللعفن الذى يصيب العيون ويقضى على أى طفح فى العين. ويستعمل النحاس أيضا لهذه الأغراض بخلاف استعماله لعلاج النقط البيضاء وجروح العين، وإذا ما أضيف إلى لبن، فهو يشفى تقيحات العين، ولهذا السبب أعد المصرى الكحل بأن مزج صحن النحاس على حجر مبلل».

توت عنخ آمون خارجا من زهرة اللوتس وحول عينيه سلفات النحاس.

ونجد فى بردية إيبرز وصفة لطرد الرمد الحبيبى أى التراكوما من العينين: أثمد، وهو الكحل الأسود، مع مغرة حمراء، وهى أكسيد الحديد، ومغرة صفراء، وهى أكسيدوز الحديد، مع ملح نطرون أحمر، وأوصى الطبيب بوضعها على جفنى العينين.

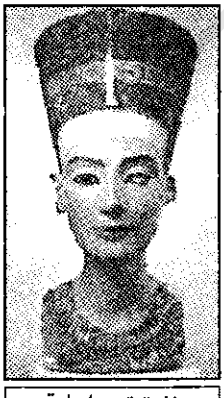

نفرتيتى وإصابة عينها اليسرى

وأطلق المصرى مسمى نحا ام ارت على الرمد الحبيبى الذى كان منتشرا بكثرة مع الرمد الصديدى فى مصر.

أما لإزالة البقع البيضاء من العينين أى العتامة، فوصف الطبيب: «مرارة سلحفاة وعسل يوضع على الجفنين».

ويمكن إرجاع ما أصاب العين اليسرى لنفرتيتى إلى مرض أصاب القرنية بالكثافة وذكر تحت مسمى شت نو مراتى وهو ما يعرف حديثا بالجلوكوما. وقد ذكرها الطبيب المصرى على أنها بقع بيضاء تصيب القرنية، وكانت الكمادات هى العلاج.

حجر الأثمد

وجدير بالذكر أن مركبات النحاس تستعمل حاليا فى علاج حالات التراكوما المنتشرة فى مصر.

ولطرد حرقة العيون: صنوبر من جبيل، وهى مدينة بيبلوس الشهيرة بلبنان، يصحن ناعما مع الماء ويوضع على الجفون.

ولحماية العين لجأ المصرى إلى الكحل بألوانه الثلاثة الأسود الذى صنعه من حجر الأثمد، والأخضر من الملكيت، والأزرق من سلفات النحاس.

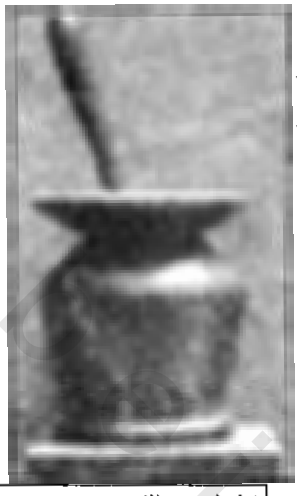

إناء لصحن الكحل مصنوع من حجر الدم أو الهيماتيت

وكحل الإثمد هو المسحوق النقى لحجر الإثمد الطبيعى الذى يتكون من مركبات الأنتيمون Sb antimony، ثالث سلفور الأنتيمون وهو الكحل الأسود، وخامس سلفور الأنتيمون وهو الأثمد الأحمر.

ويعتبر الأثمد من أشباه المعادن ويتواجد بحالة سلفيد وهو المصدر الرئيسى للمعدن، أو أكسيد، أو الأكسى سلفيد، وهو معدن هش سريع التفتت، لونه أسود فى حالته كخام أو أزرق فى حالته الثابتة، ويرجع تاريخ أكتشافه ٣٠٠٠ ق. م. ففى حالة إصابة العين أوصى الطبيب: «ما يعمل للرض بالعين فى اليوم الأول: ماء مستنقع، فى اليوم الثانى عسل وإثمد أسود، وأوصى باستعماله ليوم واحد فقط. «فإذا صحب الإصابة نزف، ضمد موضع الإصابة لمدة يومين بالعسل وأثمد لمدة يومين، فإذا خرج من الإصابة خلط غزير، فحضر له العلاج لأجل عقس: راياو، ملكيت، كندر، سنبلة هدن، يغلى.

الكاتب المصرى فى متحف اللوفر تحيط بعينيه مادة الملكيت أو كربونات النحاس للحماية والتجميل

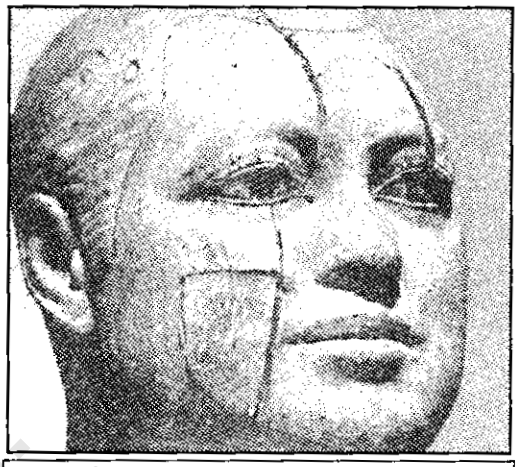

عيون تمثال شيخ البلد الشهير تزينها كحل أخضر

ولجأ المصرى أيضا إلى سلفات النحاس لنفس الغرض الوقائى والتجميلى وهو يعطى لونا أزرق جميلا وله تأثير مطهر.

ولقد تخلفت فى بعض القوارير بقايا من القطرات التى كانت تستعمل كغسول للعين وللعلاج بصفة عامة، فوجد بتحليلها أن هذه المكونات تشمل كلا من سلفات وأكسيد النحاس، وأكسيد الحديد، وأملاح الرصاص، والملح، وبودرة اللأزورد أو اللبيس لازولى. ومشتقات الزرنيخ وخلافه، وقد تم خلط هذه المواد بدهون حيوانية مختلفة وأحيانا أخرى بالعسل واللبن لعمل مراهم للجفون.

وتوضع القطرة التى أجاد الطبيب خلط مكوناتها فى العين بواسطة ريشة طائر «لطرد تقرح الأجفان: ثمر السرخس، حنظل، جايت محت، ملكيت، براز الغزال، قلب حيوان يدعى قاديت، زيت أبيض يوضع فى ماء، يترك فى الندى طوال الليل ويصفى ثم يضمد به الجفون لمدة أربعة أيام، ويمكنك أن تنقطه بواسطة ريشة نسر».

إناء لحفظ أدهانات من الخشب ويحفظ حاليا بمتحف اللوفر بباريس، الدولة الحديثة

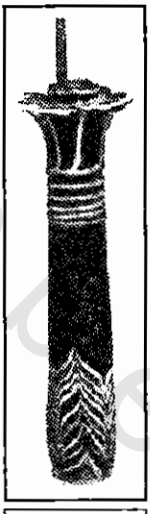

مكحلة للعين

ولكن معظم القطرات كانت من المواد النباتية مثل الورد، والزعفران، والمر، وزهر اللوتس، ومشتقات زهور اللوتس، والصمغ، والبخور، والعديد من النباتات الأخرى. ويستعمل حديثا ماء الورد مع مركبات أخرى كغسول للعين.

أما الكحل، فكانت له أيضا أهداف علاجية وجمالية وقد استعملته السيدات على مر العصور التاريخية لتزيين وتجميل العين. وكانت القطرات تعد بأن تمزج المكونات ثم تنقع فى الماء، وتعرض للندى، وتصفى ثم تعمل كمدات على العين لمدة أربعة أيام. وفى استعمالات أخرى تضعها فى العين بواسطة ريشة حدأة أو طائر آخر. واستعمل الأبنوس بكثرة فى العلاج المصرى القديم خاصة خلال الأسرة الحادية عشر، فقد استعمل موضعيا فى حالة ضيق حدقة العين، ولطرد عتامة العين بمزج الأثمد الأسود مع الأبنوس والماء، ويوضع فى العين كقطرة.

ووصف الطبيب هذه التركيبة لقطرة العين «لتضييق الحدقة: فتات الأبنوس. سای صعيدى، وهو مكون من كبريت الزرنيخ، يصحن فى ماء ويوضع على العينين مرارا.

وفى رأى د.حسن كمال أن الطبيب «ربما يقصد علاج تمدد الحدقة الذى اعتبره الإغريق فيما بعد مرضا قائما بذاته يسبب العمى». واهتم الطبيب بالنظر والقدرة على الرؤية والتمييز وأوجد السبل لمحاولات علاج النظر، والوصف التالى هو أبلغ دليل على تطبيقات كشف العين التى مازالت تمارس: «يتأكد رع من دقة الرؤية لدى حورس. يضع رع حورس المصاب فى عينه بجوار جدار مدهون بملاط فاتح اللون رسم عليه خط أسود صغير وخنزير ضخم بنفس اللون. يغطى حورس عينه السليمة ويطلب منه رع النظر للخط الصغير. ولكن عندما لم يره جورس وجهه رع إلى رسم الخنزير فيراه حورس، عندئذ يدرك رع أن حورس احتفظ بقدرة كافية على الرؤية». طبقا للأسطورة.

ومن المعروف حديثا أن ضعف النظر التى لم تنم بها القدرة على الإبصار بشكل مناسب أثناء الطفولة يعرف بالعين الكسولة التى تعالج بتغطية إحدى العينين لإعادة قوة الإبصار للعين الضعيفة.

وتقديرا للعين وأهميتها اعتبرت عين حورس الوادجت تعويذة ترمز للشفاء والقدرة، فهى التطهر، والحماية، والشفاء، وإستعادة القوى، وعين حورس هى أيضا رمز الحياة.

ومزج المصرى كعادته العقيدة بالعلم، فأوجد الوصفات اللازمة لعلاج قصر النظر ولتقويته: «لطرد العمى من العينين بواسطة كرة صغيرة: مر جاف مع اللادن والكندر، يصحن مع سائل لزج من مشروب متخمر ويوضع على الأجفان».

ولجأ الطبيب أيضا إلى صحن الحنظل مع العسل ووضعه على الجفون، وهو مبدأ المراهم المستعملة حديثا.

«لعلاج إبصار العينين: أثمد أسود، مسحوق مداد، حنظل، صمغ الكلخ، المعروف بأبو كبير حاليا، أثمد ذكر male stibium، يمزج معا ويوضع على العينين.

ويلجأ الطبيب فى حالة تدهور الحالة إلى التعاويذ: «لطرد عتامات القرنية من العينين: هناك رعد فى السماء الجنوبية منذ المساء، هناك زوبعة فى السماء الشمالية أثناء سقوط الجثث فى الماء، وأنزل نواتى، رع، على شاطئهم لأن الرؤوس كانت تقع فى الماء. من ذا الذى يحصرهم؟ من ذا الذى يجدهم؟ إنه أنا الذى سيحضرهم. أنا الذى سأجدهم، لقد أحضرت رؤوسكم، وألصقتها بأعناقكم، لقد ثبت رؤوسكم المقطوعة فى أماكنها. لقد أحضرت نواتى، رع، لطرد الأمراض التى سببها معبود أو رجل ميت أو امرأة ميتة...إلخ

يقال هذا على مرارة سلحفاة تصحن فى عسل وتوضع على الجفون المحتقنة».

رسم لأحد أطباء العيون وهو يقطر الدواء فى عين المريض رفع من أحد النقوش

يستدعى الطبيب هنا القوى العليا ويستعين بها لجلب الشفاء للمريض وزرع الأمل فى النفوس، بما يعرف حديثا القدرة على الإيحاء الذاتى الذى يؤثر فى المقام الأول على العقل فيحفزه، وعلى الحواس فيحى فيها الرغبة فى الشفاء وهذا جزء حيوى لتنشيط الدورة الطبيعية للجسم بحثا عن الشفاء.

وفى محاولة للقضاء على العمى: «يحضر سائل من عينى خنزير، أثمد حقيقى، مغرة حمراء، حثالة العسل، يصحن ناعما ويمزج معا. يصب فى أذن الشخص حتى يشفى حالا، افعل ذلك وسترى النتيجة، عظيم حقا» «اتل الرقية التالية: أنا جلبت هذا الذى وضع على المكان هناك وبدلته بالألم الشديد، كرر هذا مرتين».

يعرض هذا التمثال بالمتحف المصرى يوضح عناية المصرى القديم بالعينين

ولعمى الليل علاج عظيم حقا، طبقا لكلمات الطبيب المعلم، فقد أوصى بكبد ثور مشوى مدهوك والذى ثبت حديثا غناه بفيتامين أ، A اللازم لهذه الحالة فهذا الفيتامين يقوى النظر، ولإزالة الدم من العينين كندر مع كرفس، والكحل مع الحنظل والفاكهة لطرد حرارة الاحتكاك.

وقد عرف الطبيب المصرى قيمة بعض الفيتامينات التى قادته التجربة فقط إلى معرفتها بأسلوب مختلف عن الوقت الحالى.

ولكن الطب ذهب إلى أبعاد نعتبرها اليوم منظورا شائعا للأمراض، إذ يذكر حالة امرأة تعانى من التهابات حادة

فى العين وآلام فى الرقبة، فكانت التوصية فى العلاج تتلخص حول التشخيص: «هناك مادة فى عينيها أصابتها من الرحم». وتعالج هذه الحالة بالتعقيم:

«... بخـــور نباتيـــة وزيوت» يجـــب أن تعرض المريضة لها فى أجـــزاء مختلفة، والمراد بهذا العلاج تعقيم كل من الرحم والعين معا، ولعلاج العين وجب معالجة الرحم أولا.

وتذكر بردية إيبرز هذه الحالة: «لاتدع الشعرة تنمو مرة أخرى داخل العين بعد نزعها..». إذ أن الطبيـــب يبـــدأ علاجه لطرد الحبة من العين بأن يدهن العينين بخليط من أثمد مع بلســـان وصبر. ولإزالة الشـــعرة، أو ثنى الرموش فى العـــين، يوضع على الجفون خليط من لادن مع مواد أخرى. ولمنع نمو الشعرة بعد استئصالها خليطا آخر من دهن ثور وزيت اهليلج ومخ كلب البحر ودم عبننت. وتذكر بردية إيبرز حالة مريض يعانى: «جفون عينيه لا تستطيع إنبات رموش مرة أخرى».

وقـــد عالج طبيـــب العيون المصرى أيضا حـــالات صعود الماء للعين، وهذا مـــا أرجعه العلماء لإحتمالات الإصابة بالكتراكت، فقد أوصى الطبيب بمزيج من الكحل الأخضر، ملكيت، والكحل الأسود، أثمد، وحجر اللازورد، وبلسان، يمزج باللبن مع براز تمساح.

ومـــن المنتظر الاهتمام بهذه الوصفات وتحليل مكوناتهـــا الفعالة فى العلاجات المختلفة التى أكســـبت أخصائى العيون فى مصر القديمة شـــهرة واسعة. ولكن هذا لم يمنع من وجود بعضا من فاقـــدى الإبصـــار الذين عملوا فى حقل الموســـيقى خاصة خلال فترة العمارنـــة عندما كان يتطلع الأفراد لقرص الشمس، فتصاب عيونهم إصابة غير قابلة لأى علاج.

أما جروح منطقة الحاجب أو الذقن أو الشفة العليا كما ورد فى البرديات، وهذا ينطبق أيضا علـــى الجروح بصفة عامة، فكان على الطبيب أن يضم طرفى الجرح بعناية، ثم يلصق الطرفين، أو تخاط الأطراف حسب الحالة. ويعتبر خياطة الجرح هو أول إشارة فى التاريخ لهذا الإجراء.

ولأهمية طبيب العيون المصرى الذى تخطت شـــهرته الحدود، فقد كان ملوك الدول المحيطة يســـتدعون عند الحاجة أحد الأطباء المصريين عندما تتفاقم حالة المريض، فيذكر التاريخ أن ملك الفرس سايرس قد طلب من أمازيس ملك مصر أن يرسل له أمهر طبيب عيون فى مصر.

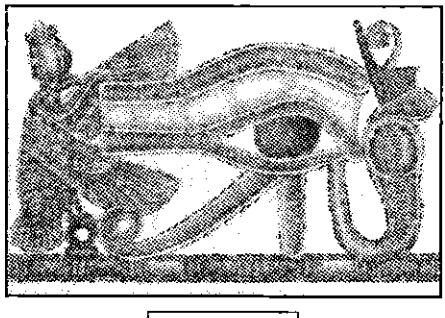

عيد حورس

أما آمـــون فهو: «من يداوى العيون بلا دواء، من يفتح العيون ويجعلها تحدق».

ولكى يمنع الطبيب ارتخاء الجفون بالعينين، أوصى بســـائل يعد من الســـنط والملكيت مع لبن امرأة أنجبت ذكرا، ويوضع الخليط على الجفون. وأعـــد الطبيب المراهم للعين مثل هذا المســـتحضر

الـذى يعجـن المكونات معا ثـم يجففها، ويصحنها فـى الماء قبل فردها علـى الجفون: صبر، ملكيت، حنظل، عصير السـنط، نشارة الأبنوس، ماء. وهذا الدهان لطرد تقرح الأجفان والظلمة وضعـف الإبصار والأمـراض التى تصيب العيون واقتصرت معظم علاجـات العيون على الأملاح المعدنية، وكبد الثور الذى وصف للعشى الليلى، وبعض الأعشاب.

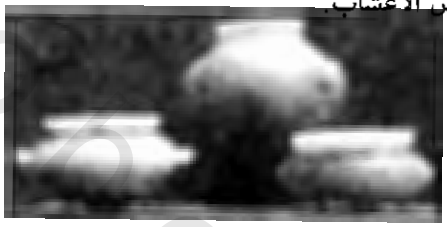

بعض أوانٍ لحفظ الكحل

وأثبـت التحليل الحديث الـذى أجرى على الكحـل احتواءه على كبريتيد الرصاص galena، بنسبة ٦٠٪، وأن باقى المكونات هى مزيج من أكسيد المنجنيز، وأكسـيد الحديد، وأكسـيد النحاس، وسـلفيد الأنتيمون. ويحتفظ المصـرى عادة بأربعة أوانٍ للكحل: كحل للاستعمال اليومى، وكحل لفتح العين، وآخر لتنظيف العين، والأخير لإبعاد إفرازات العين، فالكحل للعلاج والتجميل أيضا.

ويستخلص مما سبق أن المصرى بوصفه للمستحضرات العلاجية لإفرازات العين، والاحتقان، والتأثـر بالضـوء، والرغبة فى حك العين، الذى يؤدى فى النهايـة إلى انقلاب الجفنين، وتحك الرموش بالتالى سطح العين وهى الشعرة المشار اليها، ثم تتعتم العين وتحجب الإبصار، بوصفه هذا إنما يصف حالات تراكوما متدرجة، وقد أطلق عليها مسـمى نحات، ووصف الطبيب العلاجات المتنوعة لكل عرض: احتقان الجفون، الشعيرة وقد أطلق على هذه الحالة مسمى «لطرد الحبة من العين»، وأما لفظ «طرد الظفرة من العين»، فالمقصود به بقعة عاتمة تمتد على جزء من القرنية طبقا لما أورده د.حسن كمال. و«البقع البيضاء من العينين»، هى عتامة القرنية glaucoma cornea، أما العشى الليلى فقد عالجه الطبيب بكبد الثور المشوى وهو مصدر لفيتامين أ.

ولأهمية النظر هناك خطاب يرجع إلى عهد رمسـيس الثانى أرسـله أب إلى ابنه: «لا تتركنى فإنى فى تعاسة! لا تنه أسفك على لأننى فى ظلام، لقد هجرنى آمون، أحضر بعض العسل لعينى وبعض الدهن... ودهان العين الحقيقى بأسرع ما يمكن...اننى ضعيف وأريد الاحتفاظ بنظرى».

يعكس هذا الخطاب الوعى الصحى للعامة، فكاتب الرسـالة نقاشـا، وهو على دراية ببعض مكونات الدواء وحريص على العلاج.

عـالج الطبيب المصرى أيضـا الكتاركت وهى عتامة تصيب عدسـة العين، وتضعف الإبصار وتحجبـه. أمـا العيون الصناعية التى أجاد الفنان المصرى القديـم إعدادها، فهى تعكس معرفته بتفاصيل العين، فنجد أن عيون التماثيل، وخاصة تماثيل الدولة القديمة، تعكس تفاصيل دقيقة مثل الجفـون، والصلبة، والقرنية، وإنسـان العين، والقزحية، وحليمة مـآق العين، والثنيات نصف الهلالية، وكل هذه التفاصيل ظاهرة بوضوح طبقا لما أكده ويلسـون، الذى أكد أن العيون كانت تصنع من القواقع أو الحجر، ثم من الزجاج.

وأضاف ويلسون: «وصنعت القرنية من البلور الشفاف، وثبتت بالحفر فى جسم الصلبة بعد صقلها تماما. والغريب أن المصريين القدماء جعلوا القرنية أكثر تحدبا من الصلبة تمشيا مع الطبيعة».

ولم تقتصر معرفة الطبيب للعين فقط كما أوردنا، بل إنه يعلم جيدا حالة العين فيما أسماه «إن عينيه محتقنتان بالمرض مثل العين فى نهاية ضعفها»، وزيادة فى الإرشاد والتوجيه من جانب الطبيب المعلم، يذكر فى بردية سميث: «أما بخصوص عيناه المدميتان»، وهو وصف ذكر أيضا فى رسالة المحنط المتداولة بين كل من الطبيب والمحنط أيضا استرشادا بمحتواها.

طبيب يعد الدواء

لقد قدم المصرى عبر العصور التاريخية العديد والعديد من الممارسات الطبية التى أثبت العلم الحديث منافعها والفائدة التى تعود على المريض من جرائها.

وقد وصف الطبيب مستحضرات للعين تستعمل فى أوقات محددة: «الذى يعمل فى الشهر الثالث، برمهات، من فصل الشتاء إلى الشهر الرابع، برمودة: إثمد، سيا صعيدى، مسحوق مداد، كلامينا، صبر بأجزاء متساوية ويوضع على العينين».

ووصف «مرهم يستعمل صيفا وشتاء ووقت الفيضان: أثمد يصحن فى دهن أوز صباحا بعيدا عن النار ويضمد به ليلا».

ولتحسين الإبصار من أول شهر الشتاء، طوبة، إلى الشهر الثانى من فصل الشتاء، أمشير، توضع على العين خليط بأجزاء متساوية من الإثمد وبلسان أو مزيج آخر من إثمد وعسل، أو يبخر بسائل لزج شقفة من إناء هن جديد ويوضع مرارا على العينين...

ولطرد العتامات التى ظهرت بالعينين يصحن الإثمد مع الصبر، أو الإثمد مع الماء، وهناك علاج آخر للعينين المصابة بكل أنواع السوء: تقسم مرارة خنزير لقسمين، يوضع نصف فى العسل وتدهن به العين فى المساء، والنصف الآخر يجفف وتدهن به العين صباحا.

ومن خلال استعراض قدرات الطب والسحر والعقيدة، يمكن القول أن الحضارة المصرية على مر العصور غطت معظم الجوانب الحياتية، وكان الهدف الأسمى هو تحقيق رفاهية شعب إستوطن هذا الجزء من الأرض وحقق لنفسه الاستقرار والأمان.

ومن مظاهر الرفاهية والنظافة العامة هو العناية بالأيدى والأقدام كما هو مبين من مقبرة خنوم حتب ونى عنخ خنوم، فهما مسؤولان عن العناية بأيدى وأقدام الملك كما هو مدون على عتبة مدخل مقبرتهما.

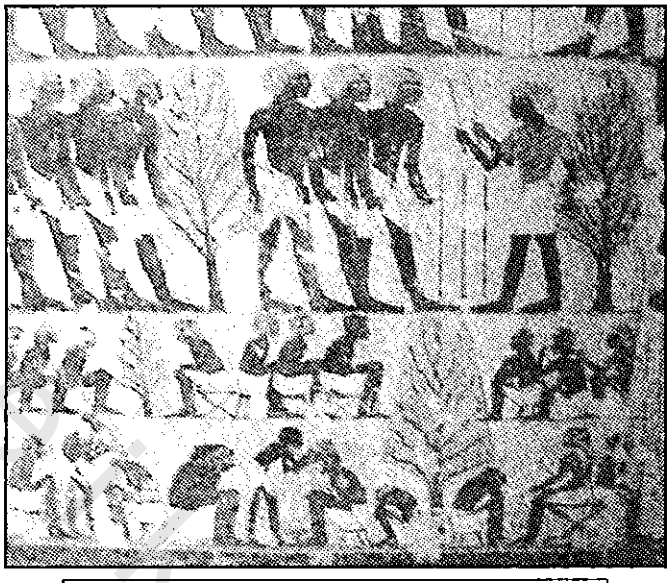

يظهر منظر الحلاقة أسفل الصورة، جدران مقبرة أوسرحات، الأسرة ١٨، القرن ١٦ ق. م.

ويعتبر المصرى فى مجال النظافة العامة أول من أقر حلاقة شعر الرأس لأفراد الجيش الملحقين بالخدمة حديثا منعا من انتشار أية حشرات.

وقد دون هيرودوت ملاحظاته على نظافة المصريين وحرصهم على اتباع تعليمات النظافة العامة: «إنهم حريصون على لبس الكتان النظيف معظم الوقت، كما أنهم، بهدف النظافة يجرون عمليات الطهارة لأبنائهم، وهم يفضلون النظافة على المظهر».

وكانت طبقات المجتمع المتنوعة حريصة على استعمال الدهانات العطرية والروائح العطرية المستخرجة من الأزهار بعد الاستحمام، وغسل اليدين والقدمين بالماء والملح للتطهر.

ويذكر كتاب الموتى حقيقة المصرى وسلوكه فى الحياة، وهو ماثل أمام القضاة أثناء المحاكمة بعد الموت: «يقول الرجل اعترافه عندما يكون طاهرا، نظيفا، يرتدى ملابس نظيفة، وينتعل نعالا بيضاء، وعيناه مزينتان بالكحل، ومعطر بأفضل العطور والزيوت العطرية».

ويذكر هيرودوت عن الكهنة: «يحلق الكاهن شعر الجسم كل يومين حتى لا تصيبه أية حشرة، أو تلتصق به أية قذارة، وعند ممارسته للشعائر، يستحم مرتين بالنهار ومرتين بالليل بالماء البارد. ثم يلبس رداءه الكتانى ونعاله من ورق البردى».

وتلجأ النساء إلى حبوب يصنعنها من الزهور وتدهن بالعسل وتستحلب لتعطى للنفس رائحة ذكية. ونفس المكونات يستخدمنها بشكل مختلف لتعطير المنازل والملابس.

وقد أوصى الطبيب بعلاج ضد أكلان الأصابع: «خذ قلب الكرنب، ومرارة الثور وملح النطرون واصحنها فى عسل وادهن المريض بها، فتكون النتيجة حسنة».

ووصف للجرب: «سذاب أو calamine، وهو نبات طبى مع اسبداج وصدأ الرصاص ودهن خنزير سائح، تحلل هذه المواد فى نبيذ وزيت وشمع ثم تسحق المكونات معا فى الهاون وتستعمل كدهان.

وأوصى الطبيب المصاب بأكلان فى الجلد ناتج عن الإصابة بالقمل بدهان جسمه بعد الاستحمام بالبول المخلوط بملح النطرون والخل ثم الاستحمام ودهان الجلد بالزيت الصابح والنبيذ. ويمكن للمريض أن يدهن جسمه بمصحون براز الحمام فى النبيذ.

ولترطيب الجلد يصحن ورق السمسم ويدعك به الجلد على أن يستعمل هذا الخليط مرة واحدة ويصحن غيره بعد ذلك ولا يستعمل مرة أخرى، ويجدد الخليط كل مرة لضمان مؤثر الدواء.

وأوصى الطبيب بملطف للجلد وينعمه أثناء الاستحمام: «خذ ثمنا من حثالة الخل المكلس، ولترا من النطرون، ولترا من الجميز، وزيت الجبل، وحب الكندر، وثمانى أوراق من كل، والخل ويكون المقدار الذى يستعمله المريض موافقا والزيت بكمية كافية ويستعمل هذا المزيج فى الحمام».

كان الطبيب حريصا على التوجيه للنظافة العامة نظرا للظروف المناخية المشبعة بالأتربة، فأوصى بالحمام البارد، وبالحمام الساخن وبالأبخرة، كل حسب الحالة ومدى تطورها، فهناك حالة حكة بالجسد يصف لها المركب التالى: «زيت الجبل، خمس أوقيات نطرون، وحجر كذان مع صدأ الرصاص، وكبريت العامود، وكمون بأجزاء متساوية، اصحن هذه المواد الطبية، وعندما يبدأ جسم المريض بالعرق داخل الحمام، ضع عليه هذا الخليط، ثم يغسل جسم المريض بالماء الساخن».

وردت معظم الوصفات للأمراض الجلدية المشار اليها سابقا فى مكتوب زويجا والذى، طبقا لما أورده د.حسن كمال، ورد فى كتاب وصف الآثار.

ومكتوب زويجا من مقتنيات متحف بورجيانو، وهذه الجزئية مستخلص من كتاب أشمل لا وجود له الآن، والمكتوب عبارة عن صفحتين من هذا الكتاب مترجمة عن اللغة القبطية الصعيدية، وهذا المكتوب بدوره منقول عن الورقة الطبية التى كانت محفوظة فى مكتبة منف والمنسوبة لامحوتب الذى أقر بمحتواها، ولكن استبدل ناسخها المعبودات المصرية القديمة بما يتفق مع العقيدة القبطية، فأحل الملائكة جبريل وروفائيل طلبا للشفاء، بدلا من إيزيس وحورس.

وتناقل العرب فيما بعد هذه الوصفات الطبية، فنجد أن وصفة علاجية من قشر الرمان الذى يغلى بعد تقطيعه فى النبيذ، ثم يدهن به المريض فيشفى، وردت فى ورقة امحوتب ونسخها كاتب الصفحتين، ثم ذكرها ابن البيطار: «إذا أحرق قشر الرمان أو السقيط، ثم خلط بعسل وطليت به آثار الجدرى وغيرها أياما متتالية. ذهبت آثارها». وقال أيضا إن الرمان ينفع الحكة ويدمغ المعدة من غير ضررها.

□□□

obeikandl.com